

## شائعات حول الحرب: الرد على الضغط الإيراني في الخليج

مايكل آيزنشتات و فرزين نديمي

17 أيار/مايو 2019

في 12 أيار/مايو، أصيبت أربع سفن - ناقلتا نفط خام سعوديَّان كبيرتان وناقلتان أصغر حجماً إحداهما إماراتية والأخرى نرويجية - بأضرار فيما وصفتها العديد من السلطات الدولية كأعمال تخريبية، ونسبها المسؤولون الأمريكيون إلى إيران أو وكلائها. وبالرغم من احتمال استخدام المتفجرات، إلا أنه لم يتم الإبلاغ عن وقوع ضحايا أو تسربات نفطية.

ويبدو أنه جرى التخطيط للهجمات وتنفيذها بشكل جيّد، حيث كانت السفن على بعد خمسة إلى اثني عشر كيلومتراً عن بعضها البعض قبالة ساحل الفجيرة في الإمارات العربية المتحدة. وإذا ثبت تورّط إيران بالفعل، فكان من الممكن أن تكون العملية إما من تنفيذ قوات البحرية النظامية أو "سلاح البحرية التابع لـ «الحرس الثوري الإسلامي» الإيراني". وكلاهما قادران على مثل هذه الهجمات، على الرغم من أن الفجيرة تقع خارج الخليج العربي، وبالتالي تتواجد ضمن نطاق منطقة المسؤولية المعتادة للبحرية.

وبعد يومين من الهجمات على السفن، استهدفت طائرات بدون طيار محطتين لصخ النفط تابعين لشركة "أرامكو السعودية" في عفيف والدوامي على طول خط الأنابيب "شرق-غرب" الذي يمرّ في وسط المملكة، مما تسبّب باندلاع النيران في إحداها. وتبنى المتمردون الحوثيون اليمنيون المدعومون من إيران هذا الهجوم، وأفادت بعض التقارير أنها كانت العملية الأولى التي استهدفوا بها خط الأنابيب هذا.

وقد وقعت جميع هذه الحوادث بعد أيام فقط من إصدار الحكومة الأمريكية تحذيرات بشأن هجمات محتملة قد تنفّذها إيران أو وكلائها، وتشمل أهدافها المحتملة أفراداً عسكريين أمريكيين في العراق وسوريا وسفن عسكرية/تجارية في المنطقة. وبشكل المنطقي الاستراتيجي للهجمات (انظر أدناه) إحدى عدة أسباب للاعتقاد بأن إيران كانت تقف وراءها، وكذلك حقيقة أن شبكة "الميادين" المؤيدة لـ «حزب الله» في لبنان كانت أول من أبلغ عن أحداث الفجيرة.

وفي 15 أيار/مايو، أمرت وزارة الخارجية الأمريكية الموظفين الحكوميين غير الأساسيين بمغادرة السفارة الأمريكية في بغداد والقنصلية الأمريكية في أربيل، رداً على ما يبدو أنها تهديدات وجهها وكلاء إيران المحليون ضد أفراد أمريكيين. وبعد ذلك بوقت قصير، علقت ألمانيا وهولندا مؤقتاً برامج التدريب العسكري في العراق. قد تشير هذه التطورات إلى أن إيران تخطط لهجمات متتالية، سواء لردع واشنطن عن الرد على الهجمات الأولية أو لمواجهة التحركات التصاعديّة الأمريكية المتصورة (على سبيل المثال، النشر الأخير لمجموعة الحاملات الهجومية في خليج عمان). وعلى الرغم من تصريحات الرئيس ترامب والمرشد الأعلى علي خامنئي بأن احتمال اندلاع حرب غير مطروح، إلا أن تحركات القوات على الأرض يمكن أن تسفر عن مثل هذه النتيجة إذا لم تتم إدارتها بحذر.

### المنطق الاستراتيجي لإيران

إن أحد مؤشرات الرعاية الإيرانية المحتملة هو المنطق الاستراتيجي المشترك الذي يجمع على ما يبدو بين هذه الهجمات ويتمحور حول مضيق هرمز. فالفجيرة هي موقع خط أنابيب النفط الذي يبدأ من أبوظبي ويسمح للإمارات والدول الشريكة لها بتصدير 1.5 مليون برميل يومياً من النفط الخام من دون المرور بذلك المضيق الضيق والمخوف بالمخاطر. ولطالما استخفت إيران بالمشروع واصفةً إياه بأنه محاولة عقيمة للتقليل من أهمية المضيق. وفي السعودية، يتمتع خط الأنابيب "شرق - غرب" بالقدرة على نقل 5 ملايين برميل يومياً من حقول النفط الشرقية إلى محطات التصدير على البحر الأحمر، وكذلك من دون المرور بالمضيق (على الرغم من أنه في الممارسة العملية يعمل بأقل من نصف تلك القدرة اليومية). وربما كان القادة الإيرانيون يأملون في بعث رسالة مفادها أنه في حال اندلاع أزمة أو حرب، يمكنهم تعطيل صادرات النفط ليس فقط من خلال المضيق (وهو ما زعموه منذ فترة طويلة)، بل أيضاً من خلال طرق بديلة.

وأنتى ذلك على الأرجح كردّ إيران على إعلان إدارة ترامب في 22 نيسان/أبريل بأنها ستوقف عن منح الإعفاءات من العقوبات المفروضة على شراء النفط الإيراني - وهو قرار يهدف إلى وصول صادرات النظام النفطية إلى الصفر كجزء من سياسة الرئيس الأمريكي المتمثلة بممارسة "أقصى ضغط" [على إيران]. ومنذ الحرب الإيرانية-العراقية، حدّرت طهران من أنه إذا لم تستطع تصدير نفطها عبر مياه الخليج، فلن يتمكن غيرها من تصدير نفطه أيضاً. وكرر قائد "سلاح البحرية التابع لـ «الحرس الثوري الإسلامي»" على رضا تانجيسيري هذا التهديد في 22 نيسان/أبريل، قائلاً: "إذا مُنعتنا من استخدام [مضيق هرمز]، فسنغلقه". وقد عززت الهجمات هذه النقطة.

ورداً على ذلك، اتهمت واشنطن إيران بالقيام بتحركات أشارت إلى أن الهجمات من نوع ما، كانت وشيكة، ثم أعلنت يوم 6 أيار/مايو أن مجموعة الحاملات الهجومية "يو إس إس أبراهام لنكولن" وأربعة قاذفات من طراز "بي-52 إتش" كانت تنتشر في المنطقة. وفي الوقت نفسه، حذر مستشار الأمن القومي الأمريكي جون بولتون من أن "أي هجوم على مصالح الولايات المتحدة أو على مصالح حلفائنا سيواجه بقوة لا هوادة فيها".

غير أن المسألة الرئيسية لا تتعلق بالقدرات العسكرية للولايات المتحدة في المنطقة بل بمصداقيتها. فإذا كانت إيران تقف وراء الهجمات على السفن وخطوط الأنابيب، فقد أثبتت بوضوح استعدادها لتحدي تحذير بولتون وقدرتها على عرقلة تجارة النفط في المنطقة على السواء. وعلى الرغم من استمرار شحنات النفط دون عوائق، إلا أن الأسعار وعلاوات التامين شهدت ارتفاعاً كبيراً وسريعاً، وقد تؤدي المزيد من الهجمات إلى تداعيات أكبر. وعلاوة على ذلك، فمن خلال تجنب الإصابات وضرب السفن التجارية المملوكة لحلفاء إقليميين للولايات المتحدة ودولة أصغر في الاتحاد الأوروبي، حدّت الهجمات من إمكانية التصعيد مع الولايات المتحدة. وباختصار، من الواضح أن إيران كانت تأمل في تقويض مصداقية واشنطن، وتقييد حربيتها في العمل، وتجنب القتال، على الأقل حتى الآن.

### كيف وصلنا إلى هذه المرحلة؟

على افتراض أن ادعاءات إدارة ترامب حول التهديدات الإيرانية مدعومة باستخبارات ودلائل شرعية موثوقة، فإن أحداث الأسبوع الماضي قد أبرزت العديد من المشاكل المحتملة مع المقاربة الأمريكية الحالية:

**الإخفاقات في مجال الردع:** يبدو أن الهجمات قد أظهرت أن التحذيرات وعمليات نشر القوات لا تكفي دائماً لمنع طهران أو شركائها من تجاوز الخطوط الحمراء المعلنة أو الضمنية التي تحددها واشنطن. وتُعزى هذه الفجوة جزئياً إلى تجاوز الإدارة الأمريكية لخطوط إيران الحمراء - أي أن الهدف الأمريكي المعلن بخفض صادرات النفط إلى الصفر هُدد بتقويض الاقتصاد الإيراني بشكل أكبر وبمفاقمة الاضطرابات المحلية. ويبدو الآن أن طهران مستعدة للمزيد من التصعيد إذا أتى ردّ الولايات المتحدة عسكرياً أو حاولت التصديّ لعمليات مستقبلية.

**سوء احتساب المخاطر مقابل المكاسب:** لا بدّ أن تتجنب واشنطن، من باب الحذر، تجاوز خطوط خصومها الحمراء ما لم تتطلب المصالح الأمريكية الحيوية خلاف ذلك. وفي الحالة الأخيرة، يجب أن تكون مستعدة للرد بقوة. ومن خلال محاولة وقف جميع صادرات النفط الإيرانية، قامت الإدارة بمجازفات خطيرة ومرتفعة بشكل كبير في سعيها لتحقيق مكاسب غير مؤكدة.

**فقدان المصداقية:** تواجه الإدارة الأمريكية مشكلة مصداقية مزدوجة. أولاً، إن رغبة الرئيس الأمريكي التي أعرب عنها غالباً في تجنب أي حروب إضافية في الشرق الأوسط وسحب القوات الأمريكية من المنطقة ربما تكون قد جرّت إيران لاختبار ما أعرب عنه. ثانياً، يحتمل الكثير من الأمريكيين وحلفاء الولايات المتحدة الإدارة الأمريكية مسؤولية الأزمة الحالية بسبب انسحابها من الاتفاق النووي في العام الماضي. وهم الآن يشككون بأي ادعاءات تصدر عن هذه الإدارة بشأن إيران ويعتقدون أن المسؤولين يريدون التسبب باندلاع حرب. وستعيق هذه التصورات قيام رد أمريكي فعال إزاء الأزمة.

**استعداد إيران للمخاطرة:** تبدو طهران وشركاؤها على استعداد للمجازفة بتجاوز الخطوط الحمراء الأمريكية، لكن بطريقة حذرة تحول دون اندلاع صراع مسلح واسع النطاق من النوع الذي لا يمكنهم الانتصار فيه عسكرياً. وكما دُكر سابقاً، فقد تجنبوا ضرب أهداف أمريكية وخطوطها على ما يبدو للهجمات بهدف الحدّ من إمكانية إلحاق الضرر والتصعيد. وربما كان القصد من هذه المقاربة الحذرة الضغط على الولايات المتحدة للتراجع عن جهودها لوقف صادرات النفط الإيرانية بالكامل.

## التوصيات في مجال السياسة العامة

في ضوء هذه المشاكل، لا بدّ أن تتخذ الإدارة الأمريكية خطوات لخفض احتمالات التصعيد مع الاستمرار في تعزيز المصالح الأمريكية الحيوية:

**تهذئة النقاد:** من أجل المساعدة على طمأننة النقاد المحليين والأجانب الذين يشككون في ادعاءات واشنطن ونواياها تجاه إيران، ينبغي على واشنطن الكشف عن أكبر قدر ممكن من المعلومات الاستخباراتية المتعلقة بالتهديدات المحدقة بالأفراد الأمريكيين وبنفط الخليج وحرية الملاحة البحرية. ويشمل ذلك نشر أدلة جنائية ترتبط بالهجمات على ناقلات النفط في الفجيرة، لتميكنّ حينها المنظمات غير الحكومية الموثوقة من تقييمها بشكل مستقل. وعلى الرغم من أنه من غير المرجح أن تؤدي الشفافية الأكبر إلى التأثير على أولئك الذين لا يتقنون بالإدارة الأمريكية أساساً، إلا أنها قد تساعد في حشد الدعم للجهود الرامية إلى توجيه إدانة رسمية للتهديدات التي تشكلها إيران على حرية الملاحة في الخليج العربي.

**فتح الاتصالات والحدّ من التوترات:** على واشنطن أن تحاول فتح خطوط اتصال مع طهران لتقليص احتمال سوء التقدير، وربما إطلاق **عجلة المفاوضات**. وفي غضون ذلك، على الإدارة الأمريكية أن **تطهّر هدوء وتيرة فرض عقوباتها الأخيرة على قطاع الطاقة** - على سبيل المثال، من خلال السماح للعراق بمواصلة استيراد الكهرباء والغاز من إيران لتوليد الطاقة طوال فصل الصيف الحار، وعبر السماح للشركات الأجنبية باستلام شحنات النفط الإيراني لتسديد الديون.

**التعزيز والحماية:** رغم أن الهجمات لم تلحق ضرراً فعلياً بصادرات الطاقة الخليجية، إلا أن ضعف البنية التحتية النفطية الأساسية وخطوط التواصل البحرية في المنطقة قد انكشف. ويمكن اتخاذ العديد من الخطوات لتعزيز هذه البنية التحتية وحماية الممرات البحرية، ولكن لا توجد وسيلة لحماية كل منشأة وسفينة معرضة للهجوم. وفي النهاية، تُعد استعادة قوة الردع الخطوة الأكثر أهمية التي يمكن للولايات المتحدة اتخاذها من أجل تحسين مستوى هذه الحماية.

**استعادة قوة الردع من خلال توجيه رسائل واضحة:** يجدر بواشنطن تحجّب اتخاذ الخطوات التي فوّضت مراراً موقفها الرادع تجاه إيران. فمن ناحية، على المسؤولين الأمريكيين وقف توجيه رسائل متباينة حول نوايا أمريكا في المنطقة. وعليهم أيضاً تجنب استخدام لغة غير دقيقة (على سبيل المثال، كثيراً ما يتكرر مصطلح "تم إخطار إيران") وخطاباً مضحماً ("القوة التي لا تلين") عند توجيه تهديدات ردع، لا سيما إن لم تترافق هذه الكلمات مع التزام بالتحرك. علاوةً على ذلك، وكما تعلمت الإدارات الأمريكية السابقة الدرس القاسي، لا يجدر بواشنطن وضع خطوط حمراء صريحة ما لم تكن مستعدة لتطبيقها. ولا ينبغي أن تتجاوز خطوط إيران الحمراء ما لم تكن مصالحتها الحيوية على المحك، أو ما لم تكن مستعدة للتعامل مع ردّ إيراني قوي.

ومع ذلك، فإن موقف الردع الأمريكي قد تضاعف بالفعل، لذلك تحتاج الإدارة الأمريكية إلى القيام بنوع من الرد الملموس على الهجمات في الخليج من أجل استعادة مصداقيتها. ومع ذلك، يجب عليها تجنب الإجراءات التي يمكن أن تجرّها إلى صراع أعمق مع إيران، وتهيج أعضاء الكونجرس، وتزيد من عزل الحلفاء.

**النظر في التحرك سراً:** تتمثل إحدى الطرق لتحقيق "الردع من دون المبالغة" في النظر في اتخاذ خطوات سرية يمكن إنكارها وتكبد إيران خسائر مادية جسيمة، مما يعقد جهود النظام لضبط المخاطر والتكاليف في المستقبل. على طهران أن تفهم أنه يمكن لطرفين أن يلعبا لعبة الإنكار المقبول. ومع ذلك، فكما هو الحال مع الردع العلني، قد يتعارض التحرك السري مع الجهود الأمريكية الموازية للحد من التوترات وفتح خطوط الاتصال. وستشكل على الأرجح إدارة هذه التناقضات أكبر تحد سياسي تواجهه الإدارة الأمريكية في المرحلة القادمة.

**توسيع نطاق استعراضات القوة الأمريكية:** سبق للإدارة الأمريكية أن اتخذت سلسلة خطوات عسكرية ملحوظة: فبالإضافة إلى نشر مجموعة حاملات هجومية في المنطقة وإرسال أربع طائرات من نوع "بي-52" إلى قاعدة "العديد" الجوية في قطر، نقلت المزيد من مقاتلات "إف-15 سي" إلى قاعدة "الظفرة" الجوية في الإمارات (التي تعزز الطائرات من طراز "إف-15 سي" و "إف-35" التي هي بالفعل هناك)، وأعلنت نشر بطاريات "باتريوت" المضادة للصواريخ، وأعدت أيضاً خططاً لسفينة النقل البرمائية "يو أس أس أرلينغتون" كي تحل محل جزء من مجموعة الاستعداد البرمائية الخاصة بسفينة "يو إس إس كيرسارج" المتواجدة حالياً في المنطقة. ومع ذلك، قد يتطلب الأمر عمليات نشر إضافية إذا كانت واشنطن تأمل في الإشارة إلى أن لديها خيارات حيوية متاحة أمامها إذا قامت إيران بتصعيد إضافي - على سبيل المثال، نشر مجموعة حاملات هجومية ثانية و/أو طائرات حربية إضافية. ولكن كما تم التأكيد عليه أعلاه، لن تُحدث عمليات نشر مماثلة مفعول الردع المرجو إلا إذا أعادت الولايات المتحدة بناء مصداقيتها المتضررة أيضاً.

**ترتيب الأزمات وفقاً للأولويات:** تشكل الأزمات الخارجية تحدياً حتى بالنسبة للإدارات الأمريكية الأكثر تمسكاً، وفي الوقت نفسه فإن فريق الرئيس ترامب عالقاً في دوامة توترات مع إيران والصين وكوريا الشمالية وفنزويلا. إن القدرة الذهبية والجسدية المتاحة للتعامل مع مثل هذه الأوضاع محدودة، وقد يؤدي فرط استخدام الموارد العسكرية الأمريكية حول العالم وبالتالي تشتيت تركيز كبار صنّاع قراراتها إلى وقوع كوارث في مكان واحد أو أكثر. وفي الوقت الذي تتعامل فيه الولايات المتحدة مع الأزمة الراهنة مع إيران، يجدر بها تخفيف التصعيد في الميادين الأخرى.

**مايكل آيزنشتات** هو زميل "كاهن" ومدير برنامج الدراسات العسكرية والأمنية في معهد واشنطن. **فرزين نديمي** هو زميل مشارك في المعهد، ومتخصص في شؤون الأمن والدفاع المتعلقة بإيران ومنطقة الخليج.